جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

اختلاف المفسرين
المفهوم- الأنواع - الأسباب

إعداد

د / محمد آدم محمد البين السلامي
قسم القراءات
كلية الآداب والفنون والإعلام ، جامعة الملك فيصل بتشاد

(العدد الثاني والأربعون)
(الإصدار الأول ٠٠٠ أبريل)
(الجزء الثالث (١٤٤٤هـ /٢٠٢٣م)
الترقيم الدولي للمجلة (ISSN)2536-9083)
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٣/٦٢٧١م

اختـلاف المفسـرين المفهـوم- الأنـواع - الأسباب

محمد آدم محمد البين السلامي
قسم القراءات، كلية الآداب والفنون والإعلام ، جامعة الملك فيصل، بتشاد.
البريد الإلكتروني: *albay albayin1970@gmail.com*

الملخـص:

إن تدبر آيات القرآن لمعرفة معانيها ومراميها لهي عين الحكمة التي إذا أوتيها المرء فقد أوتي خيرا كثيرا فلا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة ولقد ضرب سلفنا الصالح أروع الأمثلة في تحصيل طلب العلم فكانوا إذا تعلموا العشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعرفوا معانيها ويعملوا بها، فتعلموا العلم والعمل معا. إن الاختلاف في معاني القرآن كان قليلا فلما تقادم الزمان ودخل في الدين غير أهل اللسان وظهرت الأهواء والتعصب كثر الخلاف والاختلاف لكن العلماء وضعوا له ضوابط ومعايير وهذا البحث الذي جاء بعنوان: اختلاف المفسرين _ المفهوم والتطور، يهدف إلى لم شتات ما تبعثر من أمهات المصادر في المفهوم والتطور. إن أسلوب القرآن لفريد من نوعه وقد تميز بجودة السبك وتعدد الأساليب وتنوعها وإنه يستعمل التدرج في الإقناع ويصور المعنى البعيد بدقة في التصوير وإبداع في التعبير. وهذا ما سيظهر لنا من المفاهيم المتعددة في مفهوم التفسير وتطوره. وقد توصل الباحث إلى نتائج حميدة يجدها القارئ في ثنايا هذا البحث.

كلمات مفتاحية: التفسير، اختلاف التنوع، اختلاف التضاد، مآخذ التفسير، التفسير بالرواية

The difference of interpreters _ concept and evolution

Muhammad Adam Muhammad al-Bin al-Salami
Department of Readings, College of Arts, Arts and Information, King Faisal University, Chad.

Email: *albay albayin1970@gmail.com*

Abstract

Contemplating the verses of the Qur'an in order to know their meanings and aims is the source of wisdom. If a person has been given it, he has been given a great deal of good. A man does not understand all the jurisprudence until he sees the many aspects of the Qur'an. And our righteous predecessors set the most wonderful examples in obtaining knowledge. If they learned the ten verses, they would not go beyond them until they knew their meanings and acted upon them. They learned knowledge and worked together. The difference in the meaning of the Qur'an was little, so when time passed and entered the religion other than the people of the tongue, and whims and intolerance appeared, the dispute and disagreement abounded, but the scholars have made controls and criteria for it, and this research, which came under the title: Difference of Interpreters - Concept and Development, aims to bring together the fragments of what is scattered from the main sources in the concept and development. The style of the Qur'an is unique and has been distinguished by the quality of casting and the multiplicity and diversity of styles. It uses gradation in persuasion and portrays the distant meaning with accuracy in portrayal and creativity in expression. This is what will appear to us from the various concepts in the concept of interpretation and its development. The researcher reached good results that the reader will find in the folds of this research.

Keywords: *Interpretation, Difference Of Diversity, Difference Of Antagonism, Drawbacks Of Interpretation, Interpretation By Narration*

مقـدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين

أما بعد،،،،

فإن تدبر آيات القرآن الكريم لمعرفة معانيها ومراميها أحكاما وحكما إعجازا أو استنباطا، أسباب نزول أو ناسخا ومنسوخا مقيدا ومطلقا عاما أو خاصا مع معرفة ما قيل فيها ائتلافا واختلافا راجحا أو مرجوحا بمسوغ يعتمد عليه تدبر الآيات لمعرفة كل هذا لهو من الحكمة التي إذا أوتيها الإنسان فقد أوتي خيرا كثيرا ، فالحكمة هنا هي فهم تفسير آي القرآن الكريم والتفقه فيه وتعني تفسيره فإنه قد قرأه البر والفاجر، فإن القرآن لا يرفع من الأرض ولكن بموت من يعلم تأويله ويبقى قوم يتأولونه على أهوائهم، وهؤلاء أخطأتهم الحكمة، فلا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة فإن أحب الخلق إلى الله أعلمهم بما أنزل الله، فما أنزل الله آية إلا أحب أن يعلم فيما أنزلت وما يُعنى بها، لذا لما ذُكر جابر بن عبدالله عند علي بن أبي طالب فوصفه بالعلم، فقال له رجل :جُعلت فداءك ! تصف جابرا بالعلم وأنت أنت ! فقال : إنه كان يعرف تفسير قوله تعالي : (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) القصص آية ٨٥، ورحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية فقيل له :إن الذي يفسرها رحل الى الشام ، فتجهز ورحل إلى الشام حتى علم تفسيرها ، وقد طلب عكرمة اسم الرجل الذي خرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله أربع عشرة سنة حتى وجده.

ومكث ابن عباس سنتين يريد أن يسأل عمر ... عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ... فهذه الآثار وغيرها تدل على حرص سلفنا الصالح على تدبر آيات القرآن الكريم فابن مسعود يقول : والله الذي لا إله إلا هو ما من آية في كتاب

الله إلا وأنا أعلم فيما أنزلت ومتى نزلت ، ولو كنت أعلم أن أحدا أعلم بذلك مني لأتيته، وها هو ذا تلميذه قتادة يقول: ما في القرآن آية إلا وسمعت فيها شيئا.

وعامر الشعبي يقول : والله ما من آية إلا وقد سألت عنها، ومجاهد بن جبر يقول : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه أسئلة فيم نزلت وكيف كانت؟

فإذا تعلموا العشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعرفوا معانيها ليعملوا بها فتعلموا العلم والعمل معا وكان ابن مسعود اذا أقرأ الرجل آية قال له : تعلمها فإنها خير لك مما بين السماء والأرض حتى يقول ذلك في القرآن كله.

وكان الاختلاف قليلا، فلما تقادم الزمان ودخل في الدين من غير أهل اللسان وظهرت الأهواء والتعصب كثر الخلاف والاختلاف، لكن جهابذة العلماء، والراسخين في العلم وضعوا ضوابط لأسباب الاختلاف ومسوغاته، وأقسام الاختلاف واعتباراتها، واختلاف التنوع والتضاد ووضعوا معايير إليها يتحاكم وبها تحسم مادة الاختلاف والخلاف، حتى برزت أهمية مثل هذا الدراسات.

الدوافـع:

ما أجمل أن يفني الباحث عمره ليكون أجيرا مدى الحياة لخدمة سيده حين يلقاه وحيدا فريدا في جدثه وهو مرتاع وجل فيلقاه بالبشر سنىً متهللا حينها لا يكترث للحساب ولا تفزعه الصيحة ولا يحزنه الفزع الأكبر، تتلقاه الملائكة. ويقال له: اقرأ ورتل وارتق... [1]فيكون مع السفرة الكرام البررة ويحشر مع ((إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ

[1]- إشارة إلى حديث الترمذي حديث رقم ٣٠٨١ .

وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ)) فاطر الآية ٢٩، فلن يُرد في الدنيا لو عُمِّر إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا.

وما أحسن أن تستجمع شوارد ذهنك وتستجلب خواطر طيفك وتمخر في بحره فتغوص في لجته لإخراج كوامن الدرر، فتعرضها لقرائك على بساط قشيب لينتفع بها الناس وتكون ذخرا لك يوم المعاد، فجميل إذا عشت مع أطروحات التفسير ففذلكتها وأحسنت عرضها لطلابها ففزت بالدرجات العلى، فصلت عليك الملائكة والدواب والحيتان لأن صرت معلم الناس الخير ، فمتى ما أخلص الباحث نيته وأتقن عمله وأحسنه فأبدع في ترتيبه وقرب بعيده فجمع شريده استحق المثوبة إن عاجلا أو آجلا وإن هي إلا إحدى الحسنيين "وكلا وعد الله الحسنى".

إن فكرة هذا الموضوع راودتني منذ أمد بعيد أقدم إليها ثم أحجم، أدرس بعض مسائلها ثم أهملها حتى تندرس، كتبت رسالة الماجستير في أطروحات التفسير وكانت بعنوان: **(تفسير عبدالله بن مسعود من خلال فتح القدير للإمام الشوكاني)** ٢٠٠٥م ثم بحثت مرحلة الدكتوراه أيضا في علم التفسير وكانت بعنوان: **(مدارس التفسير وأثرها في اختلاف أقوال المفسرين)** ٢٠١٥م.

واشتغلت ردحا من الزمن بتدريس مادة علوم القرآن الكريم في عدة معاهد وكليات. قدمت من خلالها بعض الأطروحات النوعية والموضوعية مثل **(أطروحات التنوير في علم التفسير)** و**(آيات يكثر الاختلاف في تأويلها)** و**(الوسطية في القرآن)** و**(مشروع التفسير الهَيِّن)** وغير ذلك مما هو في إطار البحث والاستقراء. ولا شك أن الهدف الأساس للباحث هو أن يستفيد قبل أن يفيد كما أن كل راج لنيل مرغوب يستسهل طول المسافة ويقلل بعد المدى والمدة لإدراك المُنَى. والخائف قد لا يشعر بتعب الفرار بل يستقصره بأمنيات النجاح **(والمشقة تجلب التيسير)** فمن خلال هذه

البعثرة والإثارة والتثوير تحصلت على مجموعة من المسائل أودعتها في هذه الباكورة لأقدمها بين يدي قرائي لتكون سراجا للباحث المبتدئ وتذكارا للكاتب المنتهي وسميته **(اختلاف المفسرين أنواعه وأسبابه)**. فإن وفقت فذاك المبتغى وإن كانت الأخرى فمن باب رام صوبا فأمحلا ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، وليصلحه من جاد مقولا، والأجر مقدر إذا استفرغ الأجير وسعه وبذل جهده ، والنمل يعذر في القدر الذي حمله وكفاني أنني قربت لك البعيد وجمعت لك الشريد ليأتي البحث على وفق صورة وحدود محصورة. وليسهل الرجوع إلى مظانه ولتأت النهاية موافقة للبداية ليدل الظرف على المظروف ولله الحمد في الأولى والآخرة.

أ/ أهميـة البحث وعنوانـه:

لقد قدمت بحوث كثيرة في أطروحات علوم القرآن الكريم من تجويد ورسم وضبط وأسباب نزول وناسخ ومنسوخ ومكي ومدني وأنواع التفاسير سواء كان بالدراية أو بالرواية أو بالرأي محموده ومذمومه ومآخذ التفاسير وأركان التفسير واعتبارات معرفة الناس له وأساليبه ... فمنهم من أجاد وأفاد وجمع فأوعى ومنهم من هو حاطب ليل في القديم والحديث، وكل منهم نظر إلى زاوية من زواياه ومنهم من خص بمؤلفه الاختلاف عموما ومنهم من اقترب فتكلم في اختلاف المفسرين من السلف والخلف، وقد رجعت إلى الكثير من البحوث ذات الشأن لكنها ما شفت غليلي ولا روت ظمئي !

فعزمت أن أجمع هذا الشتات في بحث لا هو بالطويل الممل ولا بالقصير المخل ليكون نقطة إعجام في رأس الحرف المهمل ولبنة في حجر الزاوية ونبراسا للدراسات الموضوعية والمناهج الاستقرائية التحليلية وعنوانه: **(اختلاف المفسرين، أنواعه وأسبابه)**. وكون الدراسة موضوعية لأنها تناولت موضوعا واحدا لن تخرج عنه إلا لسبب توضيح أو ما له صلة غير مباشرةٍ كمدارس التفسير ومراحلها وأبرز محاضنا وطلابها.

وأما كونها استقرائية فلأنها استقرأت أنواع وأسباب وأقسام الاختلاف وأصوله التي أدت إليه.

ب / أهــداف البحث:

إن هذا البحث من الأهمية بمكان لأنه يحاول لملمة شتات المبعثر في بطون الكتب وحواشي المصادر والمراجع فمن أهدافه:

١- تحقيق القول في مسائل الخلاف والاختلاف وقد كثر اللغط فيها وخاض فيها كل من هب ودب.

٢- إبراز أن الاختلاف ليس ظاهرة ممقوتة ولا معرة تخفى ! بل ثمرة من ثمار البحث وإعمال الفكر وبذل الوسع ، فهو ظاهرة حميدة من ظواهر التنوع الفكري ينبغي أن نحسن التعامل معها.

ج / أسئلــة البحث :

إن أكثر ما يضر بالأجوبة السديدة هي الأسئلة الخاطئة؛ لأن (الحكم على الشيء فرع عن تصوره) وعليه فإن المباحث الآتية لا تجيب عن أسئلة في مقاصد الصور ولا عن محاورها وفضائها ولا عن أسباب النزول وغريب الألفاظ ولا عن وجوه القراءات وحججها، ولا عن تحريرات وجوه الرواة واختلافاتهم إلا من زاوية أسباب اختلاف المفسرين، إذن يجيب البحث عن أسئلة مطروحة تختلج في ذهن الكثير، منها: لماذا يختلف المفسرون ؟ أو بعبارة أخرى ما أسباب اختلاف المفسرين ؟ أو هل لاختلاف المفسرين من أسباب أو مسوغات؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي ظلت عالقة في الذهن ودائرة في الفكر، وبإجالة النظر في محتويات هذا البحث يجد السائل بغيته وينال مرامه بعون الله . تعالى . متنوعة بأمثلتها وشواهدها وعللها ومسوغاتها.

د / منهج البحث:

١- اتبع الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي للوصول إلى إيضاح مباحث هذا البحث ومطالبه وتحقيق مخرجاته حتى يتسنى للقارئ رؤية صورة الأطروحة مكتملة الجوانب فيتم نظام الشمل.

٢- وثق الباحث الآيات القرآنية في صلب البحث تعظيما لها ، أما عامة النصوص الأخرى فجعلها في الهامش وكان توثيقها بالصفحات ليسهل الرجوع إلى المصادر لمن أراد التأكيد.

هـ / مشكلـة البحث:

تمحورت مشكلة البحث في أن كثيرا من المطلعين على كتب التفسير يتساءلون عن الاختلاف بينها. ولذا فالسؤال الذي يطرحه هذا البحث: لماذا يختلف المفسرون؟ أو: هل لاختلاف المفسرين من أسباب؟ وهذا البحث يحاول تلخيص الجواب عن هذا السؤال، ولن يعدم الأجر إذا استفرغنا الوسع مع إخلاص النية، وإنا لنحسبه من الصدقة الجارية، فمن الشرف العظيم أن يسجل المرء اسمه في مجموعة أهل الله وخاصته.

مـدخـل:

إن القرآن الكريم وهو كـلام الله . تعـالى . منـه بـدأ وإليـه يعـود قد تميز بعدة خصـائص منها "جودة الأسلوب" فهو لا يحصر خطابه فيوجهه لشخص بعينه وإن دخل أصالة ولا جيلا بعينه وإن كانوا وعاءه ومادته الأولى التي حوته ! بل يرسل أسلوبه على العموم ، وكل واحد يفهم ما يلائم ذوقه أو يلائم معارفه ومداركه أو يناسب تفكيره، فهو لا يعلو عن فهوم العامة عموما ولا يقصر عن مطالب الخاصة خصوصا وهو يرضي العقل والعاطفة معا، بأسلوب أدبي رصين ومنهج علمي فريد بغاية الجودة في سبكه ودقة إحكام في سرده، وقد يعدد الأساليب مع اتحاد في المعنى فيجمع بين الجمال والبيان بإيجاز في لفظ غير مخل مع إبقاء المعني غير ممل ، فيصور المعاني البعيدة ثم يقربها جدا حتي يتأثر بها المرء وكأنه يراها رأي العين ! أو طيفا مملوسا ، بدقة في التصوير وإبداع في التعبير من غير تنافر في الألفاظ ! أو تناقض في المعاني ، ولكن بوحدة موضوعية تفوق الوصف والخيال فقد أدهش الناس بابتكاراته وعمق معارفه ووفائه بحاجيات البشر مع عدم مصادمته للحقائق العلمية.

يستعمل التدرج والإقناع وتنويع العبارات والمعاني بتكرار فريد ووسطية في الواقعية واستغلال الغرائز بيسر وسهولة ، يقرأه العامي فينقاد له ويذعن ، ويقرأه العالم فتروعه البلاغة والفصاحة فيذعن.

إن تكلم عن الماضي فهو شاهد عيان أو عن الحاضر والواقع المعاش فهو مرآة صادقة ، أو عن المستقبل والمأمول قشع الحجب وأزال الغيوم كأنك تراه ماثلا أمامك، فهو معجز مؤثر في النفوس بصورة رهيبة، وهو شفيع لأهله وتلاوته عبادة لذاتها له لوطة بالقلوب وامتزاج بالعقول وهذا مشاهد بالعيان فلا يحتاج فيه إلى برهان.

بـه إعجـاز علمـي وإعجـاز طبـي ، فهـو شفاء للقلـوب وللأبـدان، يكثـر تفلتـه مـن صاحبه وهجرانه يعد مأثما.

لـه خصـائص فـي رسـمه وضـبطه وأدائـه وتلاوتـه، هـو آخـر الكتـب تنـزلا لكنـه مهيمن عليها، حفظه ميسر وقارئه لا يمله وسامعه لا يمجه، وأنه يفسر بعضه بعضا.

إن نظمـه مبنـي علـى وفـرة الإفـادة وتعـدد الدلالـة، ولـه مبتكـرات فـي الأسـاليب والأغـراض والسـياق وتركيـب الجمـل ، فلـم يـأت بعمومـات شـأنها التخصـيص غيـر مخصوصة ولا بمطلقات تستحق التقييد غير مقيدة [1].

لذا تسابق الناس لخدمته كل على حسب تخصصه فلا يوجد عرضا تناضلت له سهام الأفهام ولا غاية تسابقت إليها جياد الهمم فرجعت دونها حسرى مثل الإحاطة بهذا الكتاب ، فهو عجيب لا تنقضي عجائبه ، من اتبعه هداه للتي هي أقوم، لا يضل في الدنيا فتتجاذبه الأهواء ولا يشقى في الآخرة بسوء المنقلب، لكن من أعرض عنه وعشي فإنه يحمل حملا لا يطيقه.

وعاش في الدنيا معيشة ضنكا ويحشر أعمى البصر والبصيرة ومن كفر به فموعده النار، ويسلك عذابا صعدا، دنياه كلها نكد! تطيش به السهام وتتفرق به السبل ، ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور .

أفهم الكل ببراهينه الساطعة وأفحمهم بحججه الدامغة، فمن ورده بقصد التضلع من بحر علومه ملأ حتى ملَّ ونظر حتي كلَّ، ومن ورده بقصد الطعن أو اللمز في أسلوبه وبلاغته وإعجازه ...

انقلب إليه البصر خاسئا وهو حسير، أحكمه كما وكيفا حتى قال فيه: "وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا" أي صدقا في القول وعدلا في الحكم ألفاظه اعتمد عليها الفقهاء في تأصيلهم وأصولهم واحتكم إليها الحكماء في أحكامهم وحكمهم، فهي مفزع الشعراء وحداق البلغاء، وهو معين لا ينضب وبحر لا تكدره الدلاء .

---

[1]–التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور ، ج١، ص١٢٠.

فمنهم من اعتنى بضبط لغاته وتحرير كلماته من مخارج الحروف وصفاتها وكيفية النطق والأداء، وحذف الإشارة لاقتصاد والاختصار ... فهؤلاء هم علماء التجويد والقراءات، ومنهم اهتم بالمعرب والمبني واللازم والمتعدي وإعراب المشكل وغريب الألفاظ، فتوسعوا حتي أعربوه جملة جملة واسترسلوا في الحقيقة والمجاز فأبرزوا منه جوانب الإعجاز والتمسوا من الشوارد الشواهد ... فهؤلاء هم النحاة.

ومنهم من نظر إلى دلالات ألفاظه فوجد أن منها ما يدل على معنى واحد ومنها ما يدل على معنيين ومنها ما يدل على أكثر فأخذ منها الأدلة ووجه الدلالة على القواعد العامة منها والخاصة وهؤلاء هم مفسرو الفقهاء.

ومن هنا جاءت كتب التفاسير متنوعة بنوع المشرب ومتلونة بلون أصحابها، فإن المستوى الفكري وسعة أفق المفسر هما اللذان يحكمان على نوع ولون التفسير، ومن هنا تنوعت كتب التفسير وتعددت مواعينها، فصارت كل مدرسة لها طابع خاص ، فمن باحث عن الوجوه البلاغية إلى مفصل للأحكام الشرعية إلى متحدث عن القراءات ووجوهها وعللها ... ومنهم الموجز ومنهم المسهب، لكن الانشغال بعلوم القرآن عموما وبأطروحات علم التفسير خصوصا له متعة لا يعرفها إلا من ذاقها ، فهي تجعل صاحبها ينضم إلى الكوكبة الميمونة من أهل الله وخاصته فتخلد ذكراه في الأولين وتحسن مثواه في الآخرين تجعله يعيش مع متعة الفكر عند إفلاس الناس، وينشرح صدره إذا ضاقت الصدور وبلغت القلوب الحناجر ويكون مشعلا للنور عند احتلاك الظلام ويوغل في اتجاهات اللغة العربية فيجد بغيته من حسن التأليف والمناسبات وبراعة الاستهلال والتصدير والتوشيح وحسن الخواتيم، ويجد التقديم والتأخير والسر في ذلك! والمشاكلة والجناس.

كما يجد غريب الألفاظ والعموم والخصوص ويدرك الاستعارات بأنواعها وأقسامها، ويعيش حقيقة الحقيقة وما سموه بالمجاز ! ويدرك الكناية والتعريض والإطناب والإيجاز والاقتباس والمحسنات واللف والنشر والاحتباك ... كل ذلك

بأسلوب يجعل المرء يذهل فيحتار وهو لا تنقضي عجائبه ! كتاب أحكمت آياته بعناية من عليم ثم فصلت بدراية من حكيم.

والسؤال المطروح : لماذا يختلف المفسرون؟ أو: هل لاختلاف المفسرين من أسباب ؟ ونحن نحاول في هذه الأطروحة تلخيص الجواب عن هذا السؤال، ولن نعدم الأجر إذا استفرغنا الوسع مع إخلاص النية، وإنا لنحسبه من الصدقة الجارية، فمن الشرف العظيم أن يسجل المرء اسمه في مجموعة أهل الله وخاصته، فإن كان القارئ للقرآن ولو بلا فهم يكون مع السفرة ، فكيف بمن يفهمه ، وكيف بمن يقرب فهمه للناس ؟ قطعا إنه بإذن الله يدخل في الخيرية المطلقة ((**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**))((**خيركم من قرأ القرآن وأقرأه**)) أو أن((**أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه**))[1].

وقبل الدخول في خضم الموضوع ينبغي أن نستهله بمدخل موجز نوضح فيه مآخذ أمهات التفسير التي يؤخذ منها والوجوه التي من قبلها تكون معرفة التفسير وأركان التفسير بالمأثور ، واعتبار معرفة الناس للتفسير واعتبار أساليبه كل ذلك بأصول أصَّلوها وفروعٍ فصَّلوها.

أولا: ما يعتمد عليه التفسير من أمهاتها أربعة:

١/ القرآن الكريم؛

٢/ النقل الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم؛

٣/ الأخذ بقول الصحابة؛

٤/ الأخذ بمطلق اللغة : ومن العلماء من يجعل التفسير هنا بقول التابعين وبعضهم يقيده بإجماعهم دون الاختلاف لكن يراعي في هذا المعنى الأغلب والأشهر

---

[1]/ الأحاديث في صحيح البخاري أنظر : فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، كتاب فضائل القرآن ج ٨ ص ٦٩٢ أحاديث رقم ٥٠٢٧ ، ٥٠٢٨ ، ٥٠٢٩ ط دار الريان ١٩٨٨م .

والأفصح دون الشاذ أو القليل النادر، فيجب أن تحمل نصوص الكتاب على معهود الأميين العرب الذين نزل فيهم الخطاب ولا يجوز حمل ألفاظه على اصطلاح حادث كما لا يجوز حمل كلام الله . تعالى . على مجرد الاحتمال النحوي أو اللغوي ، فما كل ما جاز في العربية جاز في القرآن .[1]

أو القول بمقتضى الكلام المقتضب من قوة الشرع لأن ألفاظ الشارع محمولة على المعاني الشرعية فإن لم تكن فالعرفية فإن لم تكن فاللغوية .

ومن هنا جاءت القاعدة : إن الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة قال الناظم:

واللفظ محمول على الشرعي إن لم يكن فمطلق العرفي**

فاللغوي على الفهم الجلي

فإن هناك ألفاظا تطلق ويراد بها عرفا خاصا فمثلا لفظ " الدابة "معناه الأصلي هي كلما يدب على وجه الأرض، لكنه أطلق في العرف على ذوات الأربع من الحيوان والقاعدة هنا (أن العرف إذا غلب نزل اللفظ عليه) وإلا رجعنا إلى أصل المعنى اللغوي. فكل من له عرف يحمل كلامه على عرفه[2].

ثانيا : إن أركان التفسير بالمأثور أربعة أيضا :

١/ **تفسير القرآن بالقرآن** : فإن خير ما فسر به القرآن القرآن فهو يشرح المجمل ويقيد المطلق فيفسّر بعضه ببعض .

٢/ **تفسير القرآن بصحيح السنة** : فإن التفسير إما بنقل ثابت أو رأي صائب، ولأنه علم والعلم إما بنقل مصدق عن معصوم وإما بقول عليه دليل معلوم

١/ البرهان في علوم القرآن للزركشي ، ج ١ ، ص ٣١ ، ط دار المعرفة بيروت ، بتصرف .

٢/ قواعد التفسير لخالد السبت ، ج ١ ، ص ١٥٢ ،بتصرف ، ط دار ابن عفان ١٩٩٧م .

فإذا عرف التفسير من جهة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا حاجة إلى من بعده لأن بيانه لألفاظه وتفسيره لها مقدم على أي بيان .[1]

فكان الصحابة يسألونه عن ما خفي عليهم كسؤال عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن الحساب اليسير وعن الذين يؤتون ما آتو وقلوبهم وجلة كما سيأتي بل وأحيانا عن مفردات مثل "سبأ" كما جاء في مسند أحمد وسنن أبي داود وعند ابن جرير وابن أبي حاتم والترمذي من حديث طويل... قال : وأنزل في سبأ ما أنزل فقال رجل يا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما سبأ أرض أو امرأة ؟ قال ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة ، فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة ، وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعرون وحمير وكندة ومذحج وأنمار ، فقال رجل يا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أنمار ؟ قال الذين منهم قثعم وبجيلة [2].

وقد سأله أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ عن قول الله ((**وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ**)) قال : عشرون ألفا[3] أي أرسل إلى مائة وعشرين ألفا وعليه فتكون أو هنا بمعنى بل، أي يزيدون على مائة ألف.

١. **تفسير القرآن بأقوال الصحابة الكرام.**
٢. **تفسير القرآن بأقوال التابعين.**

وهذا النوع من أنواع التفاسير هو الذي يسمى التفسير بالرواية وهو أسبق أنواع التفاسير وجودا ومن أجود أنواع التفاسير إذا صح سندا وهو الذي يجب اتباعه والأخذ به لأنه طريق المعرفة الصحيحة وهو آمن سبيل للحفظ والزلل والزيغ في كتاب الله جل وعلا.

١/ الفتاوي لأبن تيمية، ج ٧ ، ص ٢٨٦ ، ط ، بدون تاريخ .
٢/ الترمذي حديث رقم ٣٤٣٩.
٣/ الترمذي حديث رقم ٣٤٤٦.

ثالثا : وباعتبار معرفة الناس له ينقسم إلى أربعة أقسام أيضا :

١/ وجه لا يعذر أحد بجهله

٢/ وجه تعرفه العرب من كلامها

٣/ وجه يعلمه العلماء

٤/ وجه لا يعلمه إلا الله [١].

رابعا : **وباعتبار** أساليبه أيضا أربعة :

١/ تحليلي

٢/ إجمالي

٣/ مقارن

٤/ موضوعي .[٢]

وعليه فليس كل شيء باتفاق ولكن ليس كل خلاف واختلاف معتبرا، وهذا ما سنوضحه في هذه الأطروحة بعون الله . تعالي . ثم بوسيلة كلام العلماء الراسخين في العلم والربانيين في الفضل، لكن الاختلاف الذي نورده ونذكر أقسامه وأنواعه ومسوغاته ذلك إنما الخلاف المقبول الذي يدور فحواه بين راجح ومرجوح وليس خلاف التلاعب الموغل في التطرف والشذوذ الذي يحمل في طياته نزعات مجوسية أو وثنية أو حقد للرعيل الأول الذين هم وعاء الدين وماعونه الذي حواه من الصحابة والتابعين كالذين يقولون في قوله: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً))[٣] قالوا (عائشة رضي الله عنها)!

---

[١]/ مقدمة ابن جرير الطبري في تفسيره ج ١ ص ٥٩ و المحرر الوجيز لابن عطية ج ١، ص١١.

[٢]/ انظر : فصول في أصول التفسير ، ص ١٦-١٧-١٩ بتصرف .

[٣] – البقرة، الآية، ٦٧

وفي قوله : ((فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ))[1] قالوا طلحة والزبير، وكقوله : ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ))[2] قالوا يداه هما أبوبكر وعمر . رضي الله عنهما .، وكقوله: ((لئن أشركت)) أي بين أبي بكر وعلي . رضي الله عنهما . في الخلافة ليحبطن عملك[3].

إلى غير ذلك من الضلالة والجهالة التي لا يقول بها إلا من ليس له لسان صدقٍ في الأولين ولا عقل محمود في الآخرين.

[1] – التوبة الآية: ١٢

[2] – المسد، الآية ١

[3]/ مجموع الفتاوي لابن تيمية ، ج ١٣ ص ٣٦٠.

المبحث الأول :
الاختـلاف والاصطـلاح
ومفهومـه عنـد المفسرين

المطلب الأول : في اللغة

توطئة:

يدور لفظا الاختلاف والخلاف في كلام الناس كثيرا، فمنهم من يعدهما من قبيل المترادف[1]، ويتجوز فيهما كثيرا بإحلال أحدهما محل الآخر كالتفسير والتأويل، والمسلم والمؤمن، والمسكين والفقير، والنبي والرسول، والبيع والشراء في إحلال أحدهما محل الآخر.

كل هذا من حيث اللفظ، أما من حيث المدلول والمضمون فإن الاختلاف والخلاف سنة الله في الحياة ، وهو من طبائع البشر ، وهو آية من آيات الله . عز وجل . ، قال تعالى : ((وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ)) سورة الروم آية ٢٢ ففي الناس اختلاف في الألوان والألسن وفي التفكير وطريقته والنظرة إلى الحياة الدنيا وملذاتها والجمادات فيها اختلاف ، والأنعام والدواب فيها اختلاف كذلك ، قال . تعالى . : ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ

١/ الردف : ما تبع الشيء وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف ، والردف هو الذي يحل محل الآخر إذا غاب ، لسان العرب لابن منظور ، ج ٥ ، ص ١٩٠ ، مادة : ردف بتصرف ط مؤسسة التاريخ العربي ١٩٩٣م .

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)) فاطر آية ٢٧،٢٨.

فالاختلاف في الفهم والاستنباط بين علماء الأمة ليس فيه مذمة ولا معرة إذ لا أحد يسلم من ذلك، فقد وقع الاختلاف في التفسير كما وقع في غيره من الأحكام الشرعية وهو جزء من هذه المنظومة، فهؤلاء الصحابة وهم هم يختلفون في فهم الآيات كما يختلفون في قراءتها أحيانا مع أنهم أصحاب اللسان ومعاصرو النزول وعارفون للأسباب ، فهم متفاوتون في فهم الآيات وفهم استنباط معانيها ودلالاتها، نتيجة لعوامل المعرفة وفوارقها والقدرات العقلية المودعة في البشر، ولا ضير في ذلك أو غرابة، فإن اللغة وإن أحاط بها مجموع أهلها فلا يشترط أن يحيط بها كل فرد منهم ، فهذا عمر بن الخطاب يخفى عليه مدلول معنى "الأب" من قوله . تعالى . "وفاكهة وأبا" سورة عبس ٣١، ومعني التخوف من قوله . تعالى . : "أو يأخذهم على تخوف" النحل ٤٧ وابن عباس خفي عليه معنى "فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" فاطر آية ١ وابن عمر يخفى عليه معني "رتقا" من قوله . تعالى . : ((أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)) الأنبياء ٣٠والحامل على هذا كله هو التحرج عن القول في كتاب الله . عز وجل خشية أن لا يوافق الحق كلامه، وقد تواتر عن الصديق . رضي الله عنه . قوله: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم ، فدل هذا على أن التفسير مطلوب فيما يتوقف عليه فهم المراد من الخطاب فإذا كان المراد معلوما فالزيادة على ذلك تكلفا ، ودل على أن المعنى الإفرادي لا يقدح عدم العلم به في علم المعنى التركيبي[1] لكن هذا التحرج ما منعهم عن القول بما يعلمون .

١/ الموافقات للشاطبي ، ج١ ، ص٣٦ ، ط دار الكتب العلمية بدون تاريخ.

وهذا عدي بن حاتم لم يفهم المراد من قوله . تعالى . : ((وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)) البقرة ١٨٧.وأن عدم الفهم جاء من أن قوله ((من الفجر)) لم ينزل بعد، فعن سهل بن سعد قال : أنزلت ((وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ)) ولم ينزل ((من الفجر)) وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله بعده ((من الفجر)) فعلموا أنما بعني الليل من النهار.

وقد سأل عدي . رضي الله عنه . النبي . صلى الله عليه وسلم . فقال : قلت يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود أهما الخيطان ؟ قال إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين، ثم قال: لا ، بل هو سواد الليل وبياض النهار [١]، وفي رواية أنه قال : يا رسول الله جعلت تحت وسادي ، قال : إن وسادك إذا لعريض إن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك [٢].

لكنهم كانوا يرجعون إلى النبي . صلى الله عليه وسلم . في كل ما يشكل عليهم من قراءة أو فهم أو وجه استدلال ..... فيصحح ويصوب أو يقر كما حصل لهم في قوله . تعالى . : ((الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ)) الأنعام ٨٢ و((يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)) التوبة ٣و((فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا)) الانشقاق ٧ .

---

[١]/ تحفة الأحوذي ج٨ ص ٢٤٨ حديث رقم ٣١٢٥.

[٢]/ فتح الباري ج٨ ص ٣١.

٢/ فعن عائشة . رضي الله عنها . قالت قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ليس أحد يحاسب إلا هلك، قالت قلت يا رسول الله جعلني الله فداءك ، أليس يقول الله . عز وجل . ((فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا)) قال : ذاك العرض يعرضون من نوقش الحساب هلك[١].

وكما فهم قدامة بن مظعون . رضي الله عنه . إباحة شرب الخمر للمؤمن التقي الصالح المحسن من قوله . تعالى . : ((لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)) المائدة ٩٣، فقال له عمر . رضي الله عنه . : إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله ، وقال ابن عباس . رضي الله عنه . إنما أنزلت عذرا لمن غبر وحجة على الناس [٢]وإلى غير ذلك فهم متفاوتون في الفهم وقوة الإدراك وعمق الاستنباط ، كما وصفهم مسروق بن الأجدع بقوله : شاممت[٣] أصحاب محمد- صلى الله عليه وسلم . فوجدتهم كالإخاذ – الغدير – فالإخاذ يروي الرجل ، والإخاذ يروي الرجلين والإخاذ يروي العشرة والإخاذ يروي المائة والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم [٤] لكن اختلاف الصحابة . رضي الله عنهم . في التفسير قليل جدا بالنسبة لمن بعدهم من التابعين فتابعيهم وذلك لعدة عوامل منها:

---

[١]/ فتح الباري ج٨ ص ٥٦٧.

٢/ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ج٣ ، ص ١٩٢ ، ط دار الكتب العلمية ١٩٨٨م .

٣/ أي قاربت ، والإخاذ : مجتمع الماء شبيه بالغدير = النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ، ج٢ ، ص٢٥ و ج١ ، ص٢٨ ، المكتبة الإسلامية بدون ط.

٤/ إعلام الموقعين عن رب العلمين لابن قيم الجوزية ، ج١ ، ص١٣ ، ط دار الكتب العلمية ١٩٩١م .

وجود النبي . صلى الله عليه وسلم . بينهم فسرعان ما يرجعون إليه فيما أشكل عليهم من معان أو استنباط، فلا يبقى أثر للخلاف بعد قوله فيه من توضيح مشكل أو إجلاء غامض أو تقييد مطلق أو تخصيص عام.

كسؤال عائشة . رضي الله عنها . للنبي . صلى الله عليه وسلم . في قوله . تعالى . : ((وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ)) المؤمنون الآية ٦٠ قالت : أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال : لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا تقبل منهم ، أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون [١].

نهي النبي . صلى الله عليه وسلم . لهم عن الاختلاف وكرهه له .

سعة علم الصحابة . رضي الله عنهم . وإدراكهم لمرامي الشرع ومعرفتهم بأساليب اللغة ومعانيها .

تأثير العصر عليهم فإن عصرهم هو خير العصور وهم أبناؤه وصانعوه فهو عصر الوئام والانسجام إلا مما لابد منه.

إذن فوقوع الاختلاف أمر لابد منه ولا مفر، وإن اختلاف العلماء في التفسير لا مذمة فيه عليهم ولا سيما إن عرفت الأسباب والعلل والمسوغات التي أوجبته، إذ كل شخص يحكم إلى المسألة من الزاوية التي نظر إليها منها، ثم يحكم إليها بما أوصله اجتهاده وإجالة نظره وعليه فالخلاف والاختلاف جاء على النحو التالي :

أولا : المادة ومعانيها :

---

[١]/ تحفة الأحوذي ، ج٩، ص١٥.

إن كلمة ((خلف)) حروفها الثلاثة كلها أصلية : فالخاء واللام والفاء أصول ثلاثة ومردها ثلاثة .

مجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه ، ومنه قوله . تعالى . : ((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا)) الفرقان ٦٢، أي هذا يخلف هذا ويقوم مقامه ، ويقولون : هو خلف صدق أو خلف سوء من أبيه ، فإن لم يذكروا صدقا ولا سوءا قالوا للجيد خلف – بفتح اللام – وللرديء خلف – بسكون اللام – أي أنه بالتحريك في الخير وبالتسكين في الشر [١] ومثال الأخير قوله . تعالى . : ((فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)) سورة الأعراف ١٦٩ و ((فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا)) سورة مريم ٥٩.

فالخليفة والخلافة إنما سميت خلافة لمجيء الثاني بعد الأول ليقوم مقامه ، وسميت النساء خوالف في قوله . تعالى . : ((رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ)) التوبة، الآية ٨٧ لأن الرجال يغيبون في التجارة والحروب وطلب الرزق وهن يخلفنهم في البيوت والمنازل .

خلف: عكس القدام: يقولون: هذا خلفي وهذا قدامي وفلان خالفة أهل بيته أي غير مقدم فيهم[٢].

١/ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ، ج٢ ، ص٦٦.

٢/ المعجم الوسيط ، ج١ ، ص٢٥١ ، ط إحياء التراث العربي ١٩٧٣م .

التغير والفساد: يقولون: خلف فوه إذا تغير ومنه ((خلوف فم الصائم))١ وخلف الرجل عن خلف أبيه إذا تغير، ومنه : البعير الأخلف، وهو الذي يمشي في شق من داء يعتريه ٢.

ثانيا : الخلاف لغة : ضد الموافقة ويطلق على التعارض والتضاد، أو يراد به عدم التماثل والتشابه، يقال : خالف الرجل صاحبه، لم يوافقه، وهو مأخوذ من خالف يخالف مخالفة وخلافا، وهو عبارة عن منازعة تجري بين متعارضين لتحقيق حق أو لإبطال باطل ٣.

ثالثا : أما الاختلاف والمخالفة : فهو أن يأخذ كل واحد طريقا غير طريق الآخر في حاله أو قوله وهو أعم من الضد، لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين، فالخلاف والمخالفة المضادة، وقد خالفه مخالفة وتخالف الأمران واختلفا: لم يتفقا، وكل ما لم يتساوى، فقد تخالف واختلف ٤.

وعليه فكلمتا: خلاف ، اختلا ، يراد بهما في لغة العرب مطلق المغايرة والتباين بين شيئين سواء نشأ عن هذه المغايرة تناقض وتضاد أو لا. ٥

١/ جزء من حديث عند البخاري حديث رقم ١١٨ ومسلم ١٦٣.

٢/ معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، ص٢٦٨ ، ط دار الحديث ٢٠٠٨م.

٣/ التعريفات للجرجاني باب الخاء فصل اللام ، ص١٠٤ ، مكتبة الفرقان ط بدون تاريخ.

٤/ لسان العرب لابن منظور مادة : خلف ، ج٤ ، ص١٨٢ ، ط إحياء التراث العربي ١٩٩٣م.

٥/ اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق ، محمد صالح محمد سليمان ، ص٢٢ ، ط دار ابن الجوزي ١٤٣٠هـ .

المطلب الثاني: الاختلاف اصطلاحا

أما الاختلاف من حيث الاصطلاح فقد عرف بأنه: علم يعرف به كيفية إيراد الحجج الشرعية ودفع الشبه وقوادح الأدلة الخلافية بإيراد البراهين القطعية.

أو: هو علم الاختلاف الواقع بين المجتهدين لأن كل شخص ينهج طريقا مغايرا للآخر في حاله أو في قوله [١].

وهذا التعريف شامل للخلاف والاختلاف بنوعيه: المحمود والمذموم، ويشمل الجدل والشقاق وذلك لجامع ذهاب كل عالم خلاف ما ذهب إليه الآخر، إلا أن الجدل والشقاق بزيادة شدة أو حدة [٢].

وأحسن تعريف أن يقال : "هو أن يذهب كل عالم إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر بغية الوصول إلى الحق" .

وهذا التعريف صحيح شامل ، وجامع مانع ، فكونه ((عالم)) احترازا من الجاهل ، فإن مخالفته لا يعتد بها، و((خلاف)) احتراز من الاتفاق والإجماع فإذا اتفقوا أو اجمعوا فليس هناك من خلاف أو اختلاف يذكر، و((بغية الوصول ...)) خرج الجدل المقيت والشقاق والقول بالأهواء من غير دليل قاطع ولا نص مقنع له من النظر والواقع شيء [٣].

١/ مختصر اختلاف العلماء لأبي جعفر الطحاوي ، ج١ ، ص٧٨-٧٩ ، ط دار البشائر ١٩٩٥م.
٢/ مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ، ص٢٩٤ ، ط دار الفكر ١٩٩٢م.
٣/ انظر : "العمل الإسلامي بين الاتفاق والافتراق" بحث للشيخ علاء الدين الزاكي تقدم به لمؤتمر جامعة الخرطوم ٢٠٠٤/١٢/١٠م بتصرف.

لكنه في مصطلح المفسرين هو : أن يذكر المفسرون في بيان معنى اللفظة أو الآية الواحدة أقوالا متغايرة سواء كانت متضادة أو لا .

وعليه : فاختلاف المفسرين إنما هو اختلاف حول المعني المراد من لفظة أو آية ما ، فيذكر كل منهم قولا مغايرا لقول الآخر، وقد يكون الجمع بين هذه الأقوال المتغايرة ممكنا وهو ما يسمى باختلاف التنوع ، وقد لا يمكن الجمع بينهما ، ويتحتم قبول بعضها دون بعض وهو ما يسمى باختلاف التضاد ، [1] وسيأتي أن اختلاف التضاد مستبعد إلى حد ما، وأن الواقع هو اختلاف التنويع .

١/ انظر : اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق لمحمد صالح محمد سليمان ، ص٢٢.

المبحث الثاني:

في الفرق بين مصطلحي الخلاف والاختلاف ومفهومه في استعمال القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الفرق بين مصطلحي الخلاف والاختلاف

اختلف العلماء في الفرق بين هاتين الكلمتين ، فمنهم من رأى أن لا فرق بينهما فهما كلمتان أو لفظتان منشؤهما الدليل أو من غير دليل ، فهما لفظتان بمعنى واحد ، وعمدتهما الأصل اللغوي فإنه لا يوجد فيه ما يشهد لهذا الفرق قطعا [١]

وذهب آخرون إلى أن هناك فرقا بينهما وتفصيله على النحو التالي :

الاختلاف له ضد ، والخلاف أعم من الضد، لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يقتضي التنازع ، استعير ذلك للمنازعة والمجادلة قال . تعالى . : ((فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ)) الزخرف ٦٥ وقال . عز وجل ـ : ((وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)) هود ١١٨فقد يخالفك الشخص لكنه ليس ضدك ، أما إذا اختلف معك فهو ضدك قطعا.

إن لفظ "خالف" يستعمل لحالة العصيان الواقع عن قصد كمن يخالف الأوامر مثل ((فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) النور

١/ انظر : "اختلاف الفقهاء وأثره في اختلاف العاملين للإسلام" للدكتور عبدالله الفقيه ، ص١ ، بحث تقدم للمؤتمر العلمي لجامعة الخرطوم ٢٠٠٤/٧/١٠م بتصرف .

٦٣ ، ولم يقل: يختلفون في أمره ، إذا فالخلاف ما وقع في محل لا يجوز فيه الاجتهاد، أما الاختلاف فعكسه.

إن لفظ "اختلف" يستعمل في حالة المغايرة في الفهم الواقع عن تفاوت وجهات النظر مثل قوله . تعالى . : ((فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) البقرة ٢١٣ فجعله اختلافا لا مخالفة.

إن لفظ "الاختلاف" يأتي إن كان الطريق مختلفا والمقصود واحدا، بينما الخلاف هو أن يكون كلاهما مختلفا .

الاختلاف ما كان مستندا إلى دليل والخلاف ما لا يستند إلى دليل، فالاختلاف من آثار الرحمة والخلاف من آثار البدعة.

الخلاف يحمل في مضمونه النزاع والشقاق والتباين الحقيقي بينما الاختلاف يحمل التغاير اللفظي فقط لا الحقيقي ١.

وعلماء التفسير ليسوا بمنأى عما يجري لعلماء الفقه وغيرهم وإن كان اختلاف المفسرين بدأ قليلا ثم تطور بسبب التعصب المذهبي الذي أدى لحمل النص على المذهب ولي عنق الأدلة على الوجهة لتوافق ظاهر المذهب فتطوع النصوص لخدمة الطائفة .

المطلب الثاني : مفهوم الاختلاف في استعمال القرآن الكريم

أما مفهوم الاختلاف في استعمال المصطلح القرآني : فإن لفظ "الخلاف" وما اشتق منه ورد في القرآن الكريم في ثمانية مواضع ، ستة منها جاء بمعنى المخالفة والمغايرة.

١/ انظر : مختصر اختلاف العلماء للطحاوي ، ج١ ، ص٧٩ ، ط دار البشائر ١٩٩٥م بتصرف.

منها أربعة مواضع بمعني المخالفة في قطع الأيدي والأرجل قال . تعالى . : ((إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) المائدة ٣٣ وقال . تعالى .: ((لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ)) الأعراف ١٢٤ وقال . تعالى . : ((إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى)) طه ٧١وقال . تعالى . : ((إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ)) الشعراء ٤٩.

وموضعين بمعنى المخالفة قال . تعالى . : ((وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)) هود ٨٨ وقال . تعالى . : ((فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) النور ٦٣.

وفي موضع واحد بمعنى : خلف وبعد ، وهو قوله . تعالى . : ((وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا)) الإسراء ٧٦ [١].

وأما الموضع الثامن وهو قوله . تعالى . : ((فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي

١/ انظر : جامع البيان للطبري ، ج٨ ، ص١٢٢ ، ط دار الكتب العلمية ١٩٨٢م .

الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ)) التوبة ٨١ فمختلف فيه فقيل بمعنى المخالفة وقيل بمعنى خلف وبعد ، وسبب الخلاف هو وجوه قراءاته.

وأما لفظ "الاختلاف" فقد ورد في ٥٢ موضعا ، منها[١]: (اختلف ، فاختلف ، اختلفتم ، لاختلفتم ، اختلفوا ، تختلفون ، اختلاف ، اختلافا ، مختلف ، مختلفا ، مختلفون ، مختلفين ....)) وكلها تأتي بمعنى المغايرة وعدم التماثل ، بخلاف كلمة "خلاف" التي تحمل أكثر من معنى ولا يتحدد المقصود منها إلا بالسياق والقرائن أو الأشباه والنظائر التي تحدد المقصود من اللفظة أو بمعنى المغايرة في قطع الأعضاء.

١. إن لفظ "الخلاف" استعمل في خصوص المخالفة لشرع الله بينما "الاختلاف" يشمل ما كان على وفق الشرع وعلى ما خرج عن قواعده.
٢. إن لفظ "الاختلاف" جاز وقوعه بين فريقين أحدهما محق والثاني مبطل مثل قوله . تعالى . : ((وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)) البقرة ٢٥٣ ومثل قوله ((وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)) الشوري ١٠ .

وجاز وقوعه بين فريقين كلاهما مبطل مثل قوله . تعالى . : ((ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)) البقرة ١٧٦ وكاختلاف اليهود والنصارى في عيسى المسيح . عليه السلام . قال . تعالى . : ((وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا

١/ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لمحمد فؤاد عبدالباقي ، ص٢٩٣-٢٩٥ ، ط دار الحديث ١٩٩٦م.

لَهُمْ بِهِ مِـنْ عِلْـمٍ إِلَّا اتِّبَـاعَ الظَّـنِّ وَمَـا قَتَلُـوهُ يَقِينًـا)) النساء ١٥٧ وأما "الخلاف" فكل ما وصف به في القرآن فهو على باطل وضلال.

٣. إن جاء لفظ "الاختلاف " بصيغة الماضي أو المضارعة (اختلفتم ، اختلفوا ، تختلفون، يختلفون) فغالبا يتبعه بيان أن مرد المختلفين إلى الله وأنه يفصل بينهم ليتضح الحق من الباطل، أما إن جاء الإخبار بلفظ "الخلاف" فلا يذكر الفصل بينهم بل يتوعد المخالفين بالعذاب الشديد .

فمن هذه الفوارق وغيرها يظهر أن معنى "الاختلاف" في مصطلح القرآن الكريم أوسع دلالة عن "الخلاف" وأكثر ورودا منه فهو شامل للخلاف بنوعيه ، ما كان متعارضا منه ، وما كان غير متعارض ، فدلت زيادة المبنى على زيادة المعنى[١].

١/ انظر : اختلاف السلف في التفسير .... لمحمد صالح سليمان ، ص٢٧ ، باختصار وتصرف.

المصادر والمراجع

- البرهان في علوم القرآن للزركشي ، دار المعرفة بيروت
- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع، بدون، تونس
- تحفة الأحوذي ج٨ ص ٢٤٨ حديث رقم ٣١٢٥.
- التعريفات للجرجاني باب الخاء فصل اللام ، ص١٠٤ ، مكتبة الفرقان ط بدون تاريخ.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، دار الكتب العلمية، ط1 ١٩٨٨م .
- اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق ، محمد صالح محمد سليمان ، ط دار ابن الجوزي ١٤٣٠هـ .
- صحيح الترمذي: الترمذي حديث رقم ٣٠٨١ . دار الكتب العلمية، ط1 بيروت 1990
- العمل الإسلامي بين الاتفاق والافتراق" بحث للشيخ علاء الدين الزاكي تقدم به لمؤتمر جامعة الخرطوم ٢٠٠٤/١٢/١٠م
- الفتاوي لابن تيمية، بدون تاريخ ودار نشر.
- فتح الباري لابن حجر العسقلاني. دار الريان للتراث القاهرة، 1988
- فتح الباري، دار الريان للتراث، ط3 القاهرة 1988
- فصول في أصول التفسير، دار النشر الدولي، ط2 الرياض 1997
- قواعد التفسير لخالد السبت ، ط1 دار ابن عفان ١٩٩٧م .
- لسان العرب لابن منظور مادة : خلف ، ج٤ ، ص١٨٢ ، ط إحياء التراث العربي ١٩٩٣م.
- المحرر الوجيز لابن عطية : دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1 1993
- مختصر اختلاف العلماء لأبي جعفر الطحاوي، ط2 دار البشائر ١٩٩٥م.

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لمحمد فؤاد عبدالباقي ، دار الحديث ١٩٩٦م.
- المعجم الوسيط ، إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٣م .
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، دار الحديث بيروت ٢٠٠٨م.
- المفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ط3 دار الفكر ١٩٩٢م. بيروت
- مقدمة ابن جرير الطبري: دار الباز مكة المكرمة، ط أولى، 1990
- موافقات للشاطبي ، دار الكتب العلمية، ط2 بيروت بدون تاريخ.
- نهاية في غريب الحديث لابن الأثير ،